IX 9Marks سلسلة بناء الكنائس الصحيحة

الكِرازة

كيف تتحدّث الكنيسة كلّها عن يسوع

جا. ماك ستايلز

تقديم: ديفيد بلات

الفصل الأول

ما بين دعوات التوبة والأضواء البرَّاقة

في فترة السبعينيّات من القرن العشرين، صرتُ مهتمًّا بالربّ يسوع اهتمامًا بالغًا. وخلال الأشهر الأولى من عامي الدراسي الأول في الجامعة، قدتُ جون، صديقي وزميلي في السكن، إلى قبول الربّ يسوع. وبعد هذا بوقتٍ قصير وفي يوم أحد بالتحديد، قرَّرنا الذهاب إلى الكنيسة المعمدانيَّة الكبيرة في وسط مدينة ممفيس.

حاولتُ أن أنال إعجاب الناس بمظهري اللافت؛ فارتديتُ قميصًا فضفاضًا أحمر عليه رسوم إفريقيَّة، وسروالًا من الجينز واسع القدمَين، ومِمطَرًا أرجُوانيًّا. وجلسنا في وسط أشخاص يرتدون ثيابًا رسميَّة.

ألقى القسُّ العظةَ، ورتَّلتِ الكنيسةُ بعضَ الترانيم، ثمَّ حان وقتُ الدعوة. وأعلن القسُّ بصرامة أنَّه يُفضِّل أن يُغادر المرءُ الكنيسة في أثناء عظته على أن يفعل ذلك خلال وقت الدعوة، الذي يُعدّ بحسب وصفه "أهمّ جزءٍ في الخدمة".

قدَّم القس الدعوة إلى الناس بأن يُسلِّموا حياتهم إلى الربّ يسوع. فرفع الراغبون من الحضور أيديهم، ثمَّ شكَرَنا القسُّ على ذلك وطلب منّا "ترك

مقاعدنا" والتقدُّم إلى الأمام. وقال: "إذا لم تكُن قادرًا على الوقوف علانيةً في سبيل الربِّ يسوع في الكنيسة، فلن تكون قادرًا على الدفاع عنه خارج هذه الجدران." وبدا هذا المنطق صارمًا بالنسبة إليّ.

أمَّا جون، الذي كان رأسُه منحنيًا لكن عيناه مفتوحتَين (على خلاف التعليمات)، فقد همس لي قائلًا: "هل تعتقد أنّني يجب أن أتقدَّم إلى الأمام؟"

فهمستُ له: "حسنًا، لن يضرّ إن فعلت ذلك! سأذهب معك." فترك جون المقعد وتبعتُه.

غادر العشرات مقاعدهم وتقدَّموا إلى الأمام، وعَلِمنا في ما بعد أنَّ معظمهم كانوا من المُساعدين في الخدمة. وفي المقدِّمة، أحاط بنا صفوف من الأشخاص على شكل نصف دائرة. وبدا أنَّ عدد الحضور أكثر ممّا كنّا نراه ونحن في مقاعدنا الخلفيَّة، وكانوا يميلون إلى الأمام ويُركِّزون علينا مبتسمين.

وفي لمح البصر جاء القسّ بجانبي، وقال لي بصوتٍ لطيف: "يا ابني، لماذا أنتَ هنا اليوم؟" كان ممسكًا بالميكروفون بجوار ساقه، ثم لفّ سلكه الطويل خلف قدمَيه بحركة متمرِّسة.

قلتُ: "حسنًا، لأنَّ صديقي جون قد قبِل الربّ يسوع منذ أسبوعَين، وأراد أن يقف ليعلن إيمانه." ألقى القس بنظرة إلى جون الذي كانت حياته فوضويَّةً، ولكنّه كان يرتدي ملابس متحفّظةً. وأومأ برأسه إلى جون قائلًا: "هذا رائع يا بنيّ!" ثمّ عاد إليَّ وسألني: "وما الذي جاء بك أنتَ إلى الأمام؟"

كنتُ أحدِّق في الشرفة والمصابيح البرَّاقة بانبهار، في حين تعتلي وجهي نظرة "ولد ريفي جاء إلى المدينة الكبرى". فتلعثمت قائلًا: "حسنًا، أنا... أردتُ أن أُساند جون."

فقال وهو يهزّ رأسه ويلفّ ذراعه حول كتفي: "فهمتُ! هل أنتَ مؤمن، يا ابني؟"

أجبته: "نعم."

ثمَّ سألني: "وهل ترغب في إعادة تكريس حياتك للربّ يسوع؟" فهربت منّي جميع التعقيدات اللاهوتيَّة الخاصّة بهذا السؤال وأجبته: "حسنًا، طبعًا، على ما أظنّ."

حينئذٍ ضغط القس بالميكروفون على شفتيه وحدَّق في الشُّرفة أيضًا. وبحث بعينَيه عن موقع إحدى الكاميرات التليفزيونيَّة المرُكَّبة حديثًا، وأشار إليها بيده وأصابعه ممدودة وقال: "أودّ أن أقول لجميع المشاهدين في قناة "تي ڤي لاند"، لقد جاء هذان الشابان لتسليم حياتهما إلى الربّ يسوع. ويُمكنكم أنتم أيضًا أن تفعلوا ذلك في منازلكم الآن وحيثما كنتم..."

استغرق منّي الأمر سنوات لاستيعاب ما حدث للتوّ.

ما هي الكرازة؟

عندما أُفكّر في تلك الخدمة التي حضرتُها منذ سنوات عديدة، أودّ أن أسأل: "هل حدثت كرازة في ذلك الصباح وفي تلك الكنيسة؟"

لا بدّ أن نتوخّى الحذر في طريقة الإجابة عن هذا السؤال. فقد صار أشخاص كثيرون مؤمنين بمجرّد أن ساروا في ممرِّ الكنيسة نحو المقدّمة واستجابوا لدعوة التوبة. أُقيمَ مؤخرًا مؤتمرٌ للرعاة في كليَّة اللاهوت في ساوث إيسترن، ولاحَظ قائد المؤتمر "داني أكين" أنَّ الرعاة المجتمعين كانوا على مستوى رفيع من الثقافة ودرجة عالية من التعليم، والقوّة اللاهوتيَّة. ولم يُفكِّر أيٌّ منهم في أن يقدّم دعوة للتوبة مثل تلك التي اختبرتها في ممفيس. لكن حينئذٍ سألهم أكين: "كم شخصًا منكم آمَن بالمسيح في كنيسة تكرز بالطُّرُق التقليديَّة التي ترفضونها الآن؟" رفع أغلب الرعاة أيديهم.

ينبغي أن نتوقّف أمام هذه الإجابة. عندما يتعلّق الأمر بالكرازة، نجد أنَّها تُفسِحَ في مجالٍ كبيرٍ للتواضع. نحتاج إلى الاعتراف بأنَّ الله هو صاحِبُ السُّلطان، ويستطيع أن يفعل ما يشاء ليجذِبَ البشر إليه. وما من طريقةٍ معيَّنةٍ تُحدّد كيف يجب أن يعمل الله في الكرازة. رغم أنَّنا قد نختلف مع الممارسات الكرازيَّة المتنوّعة للأفراد أو الخدمات أو الكنائس، فلا بُدّ أن نُدرك كذلك أنَّه عندما تنمو لدى الأشخاص التزامات طيِّبَة بالكرازة، يَستطيع الله أن يُثمر ثمارًا حقيقيَّةً.

مثلًا، أنا شخصيًّا أُحبِّذ الأشخاص الذين يستمرّون بالكرازة بأفضل طريقة ممكنة لديهم أكثر من الذين يتخلّون عن الكرازة إلى أن يصلوا إلى الممارسة المثاليَّة. هل تذكر كيف قدّم كلٌّ من أكيلا وبريسكلا التعليم إلى أبلّوس وأرشداه في جهوده الكرازيَّة (أعمال الرسل ١٨: ٢٦)؟ وبولس نفسه ابتهج بكرازة دوافعها أنانيَّة قد تسبّبت في متاعب له (فيلبّي ١: ١٧–١٨). لذلك، عندما يؤمن الناس بوسائل وطُرُق غريبة، ينبغي أن نتشجَّع

بحقيقة أنَّ الله يستطيع أن يأخذ أصغرَ بذارٍ من حقّ الإنجيل ويُنميها لتصير ثمارَ المصالحة العظيمة التي يُحقّقها الإنجيل في قلوب الناس.

سأُحاول أن أكون واضحًا، فأنا لا أعتقد أنَّ دعوات التوبة خاطئة تمامًا. لكنّني عندما أتذكّر تجربتي في ممفيس، يكون من السهل أن أرى كيف كانت الأساليب المُستَخدَمة في تلك الأيّام مدفوعة بشكلٍ أساسيّ بالرغبة في تحقيق نتائج فوريَّة. فقد كان المسؤولون يولون الكثير من التركيز إلى القرار، أو التحرُّك في ممرِّ الكنيسة والوصول إلى مقدّمتها، ويصرفون الكثير من الاهتمام بالمشاهدين على التلفزيون، ولا يهتمّون بحالة الشخص الروحيَّة وخطاياه الفعليَّة إلّا قليلًا جدًّا.

تجاوب الكثيرون مع دعوات التوبة على مرِّ العصور. غير أنَّ أمام الذين آمنوا بالمسيح بصدقٍ وتجاوبوا مع الدعوة، نجد أنَّ عددًا كبيرًا تقدّم إلى الأمام في الكنيسة لسببٍ ما اضطراريٍّ، مثلي أنا وجون. والأهمّ من ذلك، لم يستخدمِ الكتاب المُقدّس النتائج قطّ لتوجيه أو تبرير الممارسات الكرازيّة على الرغم من أنَّ الناس يأتون إلى الربّ يسوع بوسائل متنوِّعة.

لذلك، عندما نشرع في ممارسة الكرازة، لا بُدّ أن نبدأ بأسُس الكتاب المقدَّس. وينبغي أن نتطلّع إليها لتشكيلِ طريقة مشاركة إيماننا وحمايته والإخبار به بدلًا من البدء في البحث عن طريقةٍ لتحقيق أكبر قدرٍ من التأثير. ويجب أن نحرص للغاية على أن تتوافق ممارساتنا الكرازيَّة مع الكتاب المُقدّس، لأنَّ هذا يُمجِّد الله.

للأسف، كثيرًا ما تتشكَّل ممارساتنا الكرازيَّة من العالم، وربما تتأثّر بعالم الأعمال أو قسم التنمية الذاتيَّة، لا الكتاب المُقدّس. ويتلاعب

الشيطان برغبتنا في تحقيق نتائج كبيرة بتقديم خدمة تلفزيونيَّة أكبر أو ربحٍ ماليٍّ، ويُغرينا برغباتٍ تبدو جيّدة في مظهرها مثل التوسُّع في عضويات الكنيسة أو الاعتقاد الراسخ بأنَّه إذا صلَّى طفلٌ صلاةَ التوبة، فقد صار مؤمنًا ملتزمًا بصرف النظر عن الطريقة التي يعيش بها. وفي هذا كلّه، يستبدل الناس بمبادئ الكتاب المقدَّس رغبات العالم، وتصير ممارساتنا ملتوية في الكرازة.

تمتّع بولس بفرحٍ شديد بالكرازة بالإنجيل بصرف النظر عن الدافع وراءها؛ لأنَّه كان يعلم أنَّ الله سيُحقِّق مقاصده بواسطة كلمته. لكن بولس كان يُصحِّح أيضًا الممارسات الملتوية في الكرازة: فقد شدَّد على ضرورة عدم التلاعُب بالرسالة أو تغييرها أو تضليلها (٢كورنثوس ٤: ١-٢). بل بالأحرى، ينبغي أن نسعى بدوافع نقيّة إلى محبّة الناس والمسيح، ونفعل ذلك بقناعة راسخة بالحقّ (٢كورنثوس ٥: ١١-١٥). وفي النهاية يجب أن نثق بأنَّ الربّ سيزيد أعداد المؤمنين به (أعمال الرسل ٢: ٤٧).

فكِّر في بعض الأمور الخاطئة التي ترجَّحت فيها خدمة كنيسة ممفيس:

- هل كان القسّ يؤمن فعلًا بأنَّ أهمّ جزءٍ في الخدمة هو الدعوة، لا كلمة الله التي يُكرَز بها بحقّ؟
- أين نرى في الكتاب المُقدّس أشخاصًا يرفعون أيديهم ليطلبوا الربّ يسوع في قلوبهم؟ متى صار المشي في ممرّ الكنيسة نحو المقدّمة، والصياح بصوتٍ عالٍ بديلًا للمعموديَّة باعتبارها أساس الإعلان عن إيماننا في الكنيسة المعمدانيَّة؟

- ألم يكُن ضربًا من التلاعُب أن يخرج الخدّام المساعدون من مقاعدهم في ما يبدو استجابة ظاهريَّة لدعوة التوبة؟ ألم يفشل استخدام المصطلحات غير الكتابيَّة مثل "إعادة تكريس حياتك للربّ يسوع" في تقديم الحقّ بوضوح (٢كورنثوس ٤: ٢)؟
- هل قصد القسّ أن يكذب علانيةً عندما قال إنَّني وجون قد سلَّمنا للتوّ حياتنا للرب يسوع، رغم أنَّنا لم نفعل ذلك حقًّا؟ أم أنَّ عدسات المجتمع قد أعمته لدرجة أنَّه نسي أخوَيه في المسيح الواقفَيْن أمامه؟ هل كنّا مجرّد أداة استعراض تعكس للعالم مدى فعاليَّة جهوده الكرازيّة وتأثيرها؟

في الواقع، كان الشابان اللذان يقفان أمام الراعي هما أكثر ما فاته وأهمله. وهذا هو ما يجعلني أغضب وأشعر بالرغبة في الصراخ. لقد أضاع هذا الراعي مثالًا حيًّا لأفضل أنواع الكرازة: شابٌّ يبلغ من العمر ١٨ عامًا، عاجزٌ عن العثور على إنجيل مرقس دون النظر في فهرس الكتاب المقدَّس، قاد صديقه إلى الربّ يسوع عبر إظهار محبّة عمليَّة كافية ليشرح له ما يعرفه عن رسالة الإنجيل. وأعتقد أنّ المصلّين في تلك الكنيسة قد أعماهم أيضًا هرج ومرج البرنامج الماكر المقدَّم ومشاهدي التلفزيون لدرجة أنَّهم لم يفكّروا في الأمر كذلك.

تعريف الكرازة

كيف نعرف إذًا أنَّ الكرازة قد حدثت؟ حسنًا، تعتمد الإجابة عن هذا السؤال على طريقة تعريفنا للكرازة. يُساعدنا تعريف الكرازة حسب الكتاب

المقدَّس على مواءمة ممارساتنا الكرازيَّة مع ما يطلبه الكتاب المقدّس. في ما يلي تعريف ساعدني كثيرًا على مدار سنوات عدّة:

"الكرازة هي تعليم رسالة الإنجيل بهدف الإقناع."

تعريف صغير وبسيط، أليس كذلك؟ أعتقد أنَّ معظم الناس سيتوقّعون تعريفًا أكبر بكثير من هذه الكلمات اللاهوتيَّة المهمّة. لكن هذا التعريف، على الرغم من صِغره وبساطته، يُقدِّم توازنًا لتقييم ممارساتنا الكرازيَّة أفضل من النظر إلى عدد الأشخاص الذين استجابوا لدعوة التوبة.

اشتريتُ كتابًا مُقدَّسًا لجون في الوقت نفسه تقريبًا الذي حضرتُ فيه أنا وهو كنيسة ممفيس. وكان كتابًا مُقدَّسًا تفسيريًّا يُقدِّم مجموعات كبيرة من مترادفات الكلمات الرئيسيَّة. في ما يأتي تعريف تفصيليّ موسّع للكلمة "كرازة":

"الكرازة هي التعليم (التبشير، الإعلان، الوعظ) برسالة الإنجيل (رسالة الله التي تقودنا للخلاص) بهدف (برجاء، برغبة، بغاية) الإقناع (القبول، الإيمان)".

لاحظ أنَّ التعريف لا يتطلَّب استجابة خارجيَّة فوريَّة. قد يُخبرنا السَّيرُ في ممرّ الكنيسة نحو المقدّمة أو رفع الأيدي أو حتّى تلاوة صلاة أنَّ الكرازة قد حدثت بالفعل، لكن مثل هذه الأفعال ليست هي الكرازة نفسها. لاحِظ أيضًا أنَّه عند غياب أيٍّ من هذه العناصر الأربعة المذكورة، غالبًا ما يكون ما نفعله هو شيئًا آخر غير الكرازة

لو كان بإمكاني، لعدتُ بالزمن إلى الوراء لأُعلِّم الكنيسة في ممفيس ما هي الكرازة الحقيقيَّة. وكنتُ سأُحذِّرهم من وجود أمراض كثيرة في

الكنيسة حول العالم؛ لأنَّ الكنائس قد تُقول إنَّ ما تفعله هو كرازة في حين أنَّه ربَّما لا يكون كذلك. وكنت سأتوسّل قائلًا: "أرجوكم، عندما تُعلِّمون الإنجيل، لا تُعلِّموا الناس كيف يتصرَّفون أمام الدعوة للتوبة، بل علِّموهم بوضوح ما هو الإنجيل، وما يحتاج إليه الشخص ليُقبل إلى المسيح."

كنتُ سأحثّ الكنيسة ليكون هدفها هو الإقناع بلا خداع أو تلاعب، وسأُشجِّعها ألّا تستبعد ذكر الأمور الصعبة في الحياة المسيحيَّة، مهما كان هذا مُغريًا، وألّا يخلطوا بين استجابة الإنسان وعمل الروح القُدس، وألّا يكذبوا بخصوص النتائج. وكنت سأرجوهم ألّا يُطلِقوا على بعض الأشخاص صفة مؤمنين دون وجود الأدلَّة التَّي تؤكِّد أنَّهم أتباع المسيح وآمنوا به حقًّا.

من السهل، وتبعًا لمعاييرنا الحاليَّة، أن نسخر بتلك الممارسات القديمة في الكنيسة. لكن إذا كنّا صادقين، فعلينا أن نقول إنّنا أمام الإغراء نفسه للتضحية بمبادئ الكتاب المقدَّس بهدف تحقيق النتائج و"النجاح". عندما أنظر حولي، لا أرى الكثير من التغيير في ما عدا شكل ممارساتنا للكرازة غير الكتابيَّة. فما زالت الكنيسة لا تُعلِّم الإنجيل، وتستخدم الكلمات غير الكتابيَّة لتلطيف المعنى الحقيقيّ المؤثِّر لمصطلحات مثل الخطيَّة والموت والجحيم، أو تشوِّش الذين يبحثون عن الحقّ بصدق.

فضلًا عن ذلك، تعمل الوعودُ بالصحّة والغِنى على خداع الأشخاصِ الأكثر ضعفًا، أيِ الفقراء والمحرومين والمرضى. وتُقدِّم عدّة كنائس أُخرى "إنجيلًا" مريحًا بلا تكلفة، و"إنجيلًا" مانحًا للمنافع لا وجود له في نصوص الكتاب المُقدّس. في الواقع، تعرّض الإنجيل لمحاولات هدم سمّاها الرسول بولس "أناجيل أُخرى"، وهي ليست أناجيل على الإطلاق

(غلاطيّة ١: ٦-٧). في الحقيقة، بسعي الكنيسةِ لتلبية رغبات الناس، أوحت إليهم بأنَّ تركيزها مُنصبٌّ على غير المؤمنين، وليس على مجد الله الظاهر في شعبه الذي يعبده.

حلَّت مكان ألحان الترانيم المشجِّعة عروضُ الأضواء البرَّاقة، حتّى أصبحت خدمة الكنيسة وسيلة للتسلية وليس للعبادة. كان الربّ يسوع يشدّ الناس إليه ويُثير اهتمامهم، لكنَّه لم يُركّز قطّ على تسليتهم، وبين الأمرَين فرق كبير صار مفقودًا في الكنيسة المعاصرة. وبالمثل، تبدو دعوة الأصدقاء والأتباع والمؤمنين الجدد عبر وسائل التواصُل الاجتماعيّ مُشابهةً للكاميرا التلفزيونيَّة المُعلّقة في الشُّرفة في كنيسة ممفيس: يستطيع كلٌّ منها أن يُغري قادة الكنيسة لإهمال الأشخاص الذين أمامهم.

هذه الأمور هي نتيجة لإغراءات العالم نفسها التي تُضعف الكرازة حسب الكتاب المقدَّس وتؤيِّد ممارسات كنيسة ممفيس وتسخر بالممارسات القديمة.

لكنْ لمثلِ هذه الإغراءات حلٌّ لا يختلف اليوم عن الحلّ في العام الأوّل لي في الجامعة أو في الكنيسة الباكرة في أيّام بولس الرسول. يكمن الحلّ بجعل الكرازة المبنيَّة على مبادئ الكتاب المقدَّس والمتمحورة حول الإنجيل مثبَّتة في أذهاننا وقلوبنا، وكذلك بتعلُّم كيفيَّة تعليم الإنجيل باستقامة وبجعل الهدف النهائيّ الأكبر، أي الإيمان الحقيقيّ بالمسيح، نصب أعيننا.

إذًا، دعونا "نُفصِّل" بدقّة الأجزاء الأربعة الموجودة في تعريفي للكرازة: التعليم والإنجيل والهدف والإقناع.